

الوجوه البيانية في شعر ابن الرومي

أ. إبراهيم فكرون

جامعة محمد خيضر - بسكرة

تمهيد:

تعدّ الصورة البيانية بنية مركزية للشعر، ووسيلة الشاعر للتعبير عن معانيه، والتأثير في المتلقي، وإثارته نحو فعل معيّن يقدم عليه دون روية أو تفكير؛ بفعل تأثير هذه الصورة، والعبقريّة الفدّة في التّصوير، لأنّ الشّاعر عن طريق الصّورة يفرض نوعاً من الانتباه للمعنى الذي يعرضه مصوّراً، بحيث تتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثّر به، بل نتفاجأ في أغلب الظروف. وسنعرّج في مقالنا هذا عن الصّورة البيانية في بعض أشعار ابن الرومي؛ التي امتازت بالسّلاسة والعدوبة وبالبراعة في التّصوير. كما اهتم بتزيين العبارات تارة والبوح بالذّع العبارات والألفاظ تارة أخرى في صورة هجائيّة ساخرة وهذا ما ميّز شاعرنا عن غيره من الشّعراء

أولاً - الحقيقة:

تعتبر الحقيقة وسيلة لكل إنسان في التعبير عن أحاسيسه وهواجسه، وللشاعر كلام ربّما يدل على تجربة إنسانية معاشة، تحمل إبداع الشاعر، وهذا لا يعني أنّ الكلمة عند الشاعر لا تعبر عن الحقيقة، التي هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له، وفيما جرت العادة عليه¹، أو «التي هي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي»².

بعد تصفحنا لبعض أشعار ابن الرومي، اتّضح لنا الكثير من الوجوه التي تعبّر عن الواقع خاصة إذا تعلق الأمر بحياته الشّخصية أو بأقاربه، وأكثر أشعار ابن الرومي تعبيراً عن الحقيقة نجدها في غرض الرثاء، حيث نكبه الدهر في عدّة أفراد أسرته فقال في قصيدة رثى فيها ولده الأوسط، التي قد تبكي قارئها كما أبكت مبدعها والتي قال فيها:³

تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَبِيَّتِي فَلَلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ
عَلَى حِينَ شَمْتُ الْخَيْرِ مِنْ لَحَاتِهِ وَأَنْسْتُ مِنْ أفعالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ

فالبيتان ينطويان على حقيقة وجدانية أكثر من انطوائهما على حقيقة عقلية، إذ أنّ وقع الموت يكون فاجعا، سواءً أَلَمَ بالأكبر أو بالأوسط من الأبناء.⁴ وله أضرب أخرى في رثاء زوجته معبرا عن تأثره بها فيقول:⁵

عَيْنِي شُحَا وَلَا تَسْحَا
جُلَّ مُصَابِي عَنِ الْبُكَاءِ

وعبر عن حقيقة الموت في رثاء خالته فقال فيها:⁶

أَلَا لَيْسَتْ الدُّنْيَا بِدَارِ فَلَاحٍ
بِعَيْنِكَ صَرَعاها مَسَاءَ صَبَاحٍ

ومن الحقائق التي أقرها ابن الرومي ما تعلقت بالمرء تتغير ملامحه وصوره بمرور سنّه، فيقول متشائما في العمر:⁷

اَكْتَلَمْتُ هِمَّتِي فَأَصْبَحْتُ لَا أَجِدُ
هَجُجَ بِالسَّيِّئِ كُنْتُ أَهْجُجُ بِهِ

ويقول في الشَّيْبِ باكيا:⁸

يَا شَبَابِي، وَأَيْنَ مَيِّ شَبَابِي؟
أَذَنْتَنِي حِبَالُهُ بَانْقِضَابٍ

ومن الحقائق التي عبر عليها ابن الرومي حقيقة الزَّهْد التي وردت في مواضع كثيرة، وهو شعريصف حقيقة الدنيا وأنها متاع الغرور وأنَّ الآخرة خير وأبقى فيقول:⁹

ازْجُرِ الْقَلْبَ إِذَا الْقَلْبُ جَمَحَ
وازدَغِ الطَّرْفَ إِذَا الطَّرْفُ طَمَحَ
واصْرِفِ النَّفْسَ إِلَى عَدْنِيَّةٍ
ذاتِ غُنْجٍ ودَلَالٍ وَمَرَحٍ

ويقول:¹⁰

جَعَلَ اللَّهُ مَهْرِيًّا
وَأَمْتَلَى اللَّيْلَ مَرْكَبًا

من خلال هذا البيت يمكن أن نعتبر شعراين الرومي كان مستقى من المعنى القرآني، فنجد هذا البيت يحمل نفس المعنى مع قوله تعالى:

﴿فَقِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (50).¹¹

كما يعبر الشاعر عن قيمة أخلاقية في كسب الحلال فيقول:¹²

الْمَالُ يُكْسَبُ رَبَّهُ مَالَمْ يَفِضْ
فِي الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ سُوءَ ثَنَاءٍ

والمعنى في البيت السابق أنَّ المال يكسب صاحبه الدَّلَّ والهوان، مالم يكن بطرق شرعية.

ومن الصور الهجائية لابن الرومي ما تدل على الحقيقة ومثال ذلك ما قاله في قينة:¹³

مَا بِأَلْهَا قَدْ حُسِنَتْ وَرَقِيْمُهَا
أَبَدًا قَبِيحٌ قُبْحُ الرِّقْبَاءِ

وكذلك قوله في الشعراء:¹⁴

يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ مَسَبَّةً مِّنَ اللَّهِ مَسْبُوبٌ بِهَا الشُّعْرَاءُ

ف نجد هذا البيت يحمل نفس المعنى مع قوله تعالى:¹⁵

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَى أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَّهيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226)﴾.

ثانيا - المجاز:

«هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع».¹⁶ لكن صور ابن الرومي لم تخرج في قالب المجاز إلا نادرا من ذلك قوله:¹⁷

وَقَدْ نَرَى الْأَرْوَاحَ تُهْدِي لَنَا نَشْرًا مِّنَ الْأَطْيَبِ فَاَلْأَطْيَبِ

فالشاعر هنا استعمل أسلوب التعبير للكلّ بالجزء، فقد ذكر ما يدل على الجزء (الأرواح) وانحصرت فيه وظيفة الكلب، وقصد الناس عامة بإطلاق الجزء (الأرواح) على الكل مجازا وهذه مبالغة بديعية. كما استعمل الشاعر لفظ الدهر للتعبير مجازا من خلال قوله بيئ أبا العباس:¹⁸

إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ وَزَادَ فِي عِدَّتِكُمْ أَغْتَبَا

ونرى الشاعر يستعمل لفظ الخطوب للتعبير مجازيا على الناس، مثل قوله في يحيى بن علي المنجم:¹⁹

ظَلَمْتَنِي الْخُطُوبُ حَتَّى كَأَنِّي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ حَسِيبُ

وما ميّز شعر ابن الرومي اشتماله على التشخيص في المجاز، ومن ذلك قوله معانبا:²⁰

غَرَسْتُ يَدًا حَتَّى إِذَا أَن حُمِلَهَا شَكَتْ مِنْكَ إِغْفَالًا وَطُولَ جَفَاءِ

فالملاحظ أنّ ابن الرومي وظّف كلمة (اليد) توظيفاً مجازياً، لأنّ اليد كانت سببا في العمل الجميل وهي علاقة سببية، ومن المجاز كذلك استعمال الشاعر لمصطلح الدهر في قوله مهنّا أبا العباس أحمد بن محمد بمولوده:²¹

أَدَبُهُ الدَّهْرُ بِتَصْرِيفِهِ فَأَحْسَنَ التَّأْدِيبِ إِذْ أَدَّبَا

فالشاعر يعتبر الدهر في البيت السابق وسيلة تأديب، فإسناد التأديب للدهر كان مجازا. ومن المجاز كذلك ما قاله الشاعر في القاسم بعدما شفي من مرضه:²²

وَتَابَ إِلَيْكَ الدَّهْرُ مِنْ كُلِّ سَيِّءٍ وَأَعْتَبَكَ الْإِقْدَارُ، يَا خَيْرَ مُعْتَبٍ

رَأَى الدَّهْرُ أَنْ لَمْ يَهْتَضِمَ غَيْرَ نَفْسِهِ فَأَقْصَرَ عَمَّا قَالَ غَيْرَ مُؤْتَبِرٍ

فورود الدهر في هذين البيتين كان وسيلة، لكنها ليست ثابتة المهمة فهي يوم عليك ويوم لك، فمثلما تؤذيكَ تسترضيك.²³ ويقول كذلك في نفس السياق مادحا:

وَتَأَبَّ إِلَيْكَ الدَّهْرُ مِنْ كُلِّ سَيِّئٍ وَجَاءَكَ يَسْتَرْضِيكَ وَهُوَ مُنِيبٌ

فالملاحظ كثرة ورود كلمة "الدهر" في شعر ابن الرومي، ويمكن تفسير ذلك بالأهمية الكبيرة لهذا المصطلح في شعره.

ثالثا - التشبيه:

هو وجه من وجوه البيان، وفن من فنون البلاغة، ويقصد به التقريب بين الموصوف والصورة الواصفة رغم انفصالهما في الأصل، فعندما تكون أمام مصطلحين لهما معنى واحد، وفيهما عبارة لم تقم على تشبيهه، فإنك تجد العبارة الثانية أوجز من الأولى وأكثر إيضاحا، وأشدّ مبالغة في المعنى المراد²⁴، ويعتبر التشبيه من أبرز أنواع التصوير في كلام الناس، إذ يوسع المعارف، وابن الرومي من بين الشعراء المميزين في مجال التشبيه، فقد جمع له ابن أبي العون مئات التشبيهات الحسان النواذر²⁵.

وتطرق ابن رشيق في كتابه العمدة إلى موضوع التشبيه عند ابن الرومي فقال: «في شعره أيضا من مליح التشبيه ما دونه النهايات التي تبلغ، وإن لم يكن التشبيه غالبا عليه كابن المعتز»²⁶، ومن شروط صحة التشبيه وجود الطرفين، وقد يكون المشبه محذوف للعلم به، ولكنه يقدر إعرابا، وقد يحذف وجه الشبه، أو أداة الشبه، دون أن يختل التشبيه، بل يقوى ويزداد عمقا.²⁷ كما قد يخرج التشبيه في شعر ابن الرومي إلى أشكال متنوعة، وأوجه متعددة كونه أجاد في هذا الموضوع، فنجد في بعض تشبيهاته تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة في بيت واحد، فيقول:²⁸

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطَرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

ومما أورده ابن رشيق في كتابه، أن لائما لام ابن الرومي، فقال له لم لا تشبه تشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه؟ قال: أنشدني شيئا من قوله، فأنشدته في صفة الهلال:

فَانْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ انْقَلَبَتْ حُمُولُهُ مِنْ عَنَبٍ

فقال: زدني، فأنشدته:

كَأَنَّ أَذْرِيْوَنَهَا وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالْيَهْ

مَدَاهِنُ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةٍ

فصاح الشاعر: واعوثاه، يا لله، لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها، ذلك إنّما يصف ماعون بيته، لأنّه ابن الخلفاء.²⁹ فقال هل ورد من أحد قطّ أُمّح من قولي في قوس الغمام:³⁰

وَقَدْ نَشَرْتُ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفًا عَلَى الْأَرْضِ دُكْنًا وَهِيَ خُضِرٌ عَلَى الْأَرْضِ
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّمَاءِ بِخُمْرَةٍ عَلَى أَخْضَرٍ فِي أَصْفَرٍ وَسَطَ مُبْيَضٍ
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَائِلٍ مُصَبَّغَةٍ وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضٍ

ولا بأس أن نستشهد ببعض أنواع التشبيهات في شعر ابن الرومي، كونه من الشعراء القلال الذين برعوا في التصوير والتشخيص.

أ- التشبيه المرسل:

وهو الذي توفرت فيه عناصر التشبيه الأربعة: (المشبه، المشبه به، وجه الشبه، أداة الشبه)³¹، من مثل قول ابن الرومي:³²

غَرَائِزُ كَالْغِرْلَانِ حُورٌ عَيْونُهَا رَخِيْمَاتٌ دَلَّ نَاعِمَاتُ خَوَانِثُ

فالشاعر شبه الغرائز بالغرلان، وأداة التشبيه الكاف، ووجه الشبه هو حور عيونها، إذن الصورة في التشبيه المرسل تكون بجميع عناصرها، ويقول الشاعر في وصف قدح:³³

كَفَمِ حَبِّ فِي الْحَلَاوَةِ بَلِّ أَحَدٍ لَى وَإِنْ كَانَ لَا يُنَاغِي بِحَرْفٍ

فعناصر التشبيه عند ابن الرومي تأتي متباينة، فتارة تأتي الأداة في الصدارة وتارة تتوسط البيت، وهذا ما اتضح لنا من خلال الأمثلة السابقة.

ب- التشبيه البليغ:

وهذا النوع من التشبيهات قد يستقيم بثلاثة عناصر أو حتى عنصرين، ويشترط في هذا النوع توفر وجهين من عناصر التشبيه (المشبه + المشبه به)، باعتبارهما عنصرين أساسيين في هذا النوع، بينما إذا حذفت الأداة أو وجه الشبه، لا يختل التشبيه بل يزداد قوّةً وبلاغةً³⁴، وفي شعر ابن الرومي أمثلة مختلفة حول هذا النوع فيقول في بني سليمان بن وهب:³⁵

وَأَنْتُمْ النَّخْلَةُ الطُّوْلَى الَّتِي سَبَقَتْ قَدَمًا وَبُورِكَ مِنْهَا الْأَصْلُ وَالطَّرْفُ
فَإِنْ زَوَى عَنِّي الْجَمَارُ طَلَعَتْهُ فَلَا يُصْبِي بِحَدِي شَوْكِهِ السَّغْفُ

ففي هذا التشبيه ورد المشبه في المرتبة الأولى (أنتم)، ثم المشبه به في المرتبة الثانية (النخلة الطولى)، ونجد وجه الشبه في المرتبة الثالثة (لا يصبني بحدي شوكة السعف)، أما الأداة لم ترد في هذا البيت وهذا ما يزيد التشبيه حسنا وجمالا.³⁶
ويقول:³⁷

فَكُنْتُ كَعَابِدٍ مَنْحُوتِهِ وَمُسْتَرْزِقٍ رَزَقٍ مَنْصُوبِهِ

فنجد في هذا البيت توفر ثلاثة عناصر للتشبيه وهي (الأداة، وجه الشبه، المشبه به) وغياب (وجه الشبه). ونجد التشبيه المحذوف يتقارب مع التشبيه البليغ في بعض الصفات، وهذا الأخير هو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه معا، وتزداد درجة البلاغة في هذا النوع بسبب حذف العنصرين، وقد كثر هذا النوع عند ابن الرومي، وأكثر هذه الصور تشبيه الممدوح بالبحر، لأن البحر عند الشعراء دلالة على الكثرة والعطاء والخصوبة... ومن ذلك يقول:³⁸

وَوَظَمْنَا إِلَى الشَّرَابِ، وَأَنْتَ الـ بَحْرُ يُرْوِي فِي جَانِبَيْهِ الظَّمَاءُ

ويقول أيضا:³⁹

أَنْتَ بَحْرٌ وَمَنْ لَهُ تَجْتَبِي الْأُمُّ وَالْ بَحْرُ لِي جَانِبَيْهِ عُبَابُ

كما شبه الممدوح بالنجوم فقال:⁴⁰

هُمُ النُّجُومُ الَّتِي إِذَا طَلَعَتْ فِي كُلِّ لَيْلٍ تَكْشَفُ حُجُبَهُ

ج - العمق في التشبيه:

هذا النوع من التشبيه ينشأ ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة جميلة تمثله، وكثيرا ما يتبع حذف الأداة ووجه الشبه.⁴¹ ونجد من أمثله قول ابن الرومي يصف العنب الرازقي:⁴²

ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْمَحْبُورِ عَلَى حِفَافٍ جَدُولٍ مَسْجُورِ

أَبْيَضَ مِثْلَ الْمُعْرِقِ الْمُنْشُورِ أَوْ مِثْلَ مَتْنِ الْمُنْصَلِ الْمَشْهُورِ

وقوله كذلك:⁴³

خَجَلْتُ خُدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيهِ لَهُ خَجَلًا تَوَرَّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ

ففي هذا البيت ورد التشبيه مقلوبا، فالشاعر شبه حمرة الورد بحمرة الخجل، والمألوف هو تشبيه حمرة الخجل بحمرة الورد، لأن حمرة الورد أصلية ودائمة بينما حمرة الخجل زائلة ووليدة

ظرف معين، وهذا ما يزيد التشبيه عمقا وجمالاً، وهذا ما يعرف بالتشبيه المقلوب. وقد تطرق بعض النقاد والدارسين إلى التشبيهات النادرة والغريبة عند ابن الرومي والتي ليس من السهل أن يتوصل إليها الشاعر مثلما جاء في قول الجرجاني: «أن يكون الشبه المقصود مما لا يتسرع إليه الخاطر، ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر إلى نظيره الذي يشبه به»⁴⁴.

ومن مثل هذه التشبيهات النادرة ما قاله ابن الرومي في الورد:⁴⁵

وَقَائِلٍ لِمَ هَجَوْتَ الْوَرْدَ مَعْتَمِدًا؟ فَقُلْتُ: مَنْ بَغَضَهُ عِنْدِي وَمَنْ سَخَطَهُ

كَأَنَّهُ سُرْمٌ بَغِلٍ حِينَ يَخْرِجُهُ عِنْدَ الرِّيَاثِ وَبَاقِي الرُّوثِ فِي وَسْطِهِ

وهناك من يرى أنَّ التشبيه النادر ما كان مخالفا للعادة، والشاعر هنا يذم الورد لأنه كان يزكم من رائحته فجاء بهذه الصورة النادرة المخالفة للناس، والمعتاد أن الشعراء يشبهون الشيء الجميل بالورد، غير أن الشاعر عكس هذه العادة وشبه الشيء الورد بالقبيح، وكذلك من التشبيهات النادرة عند ابن الرومي ما قاله في وصف الرقاقة:⁴⁶

مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ خَبَازًا مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو الرُقَاقَةَ وَشَكَ اللَّحْمَ بِالْبَصَرِ

مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا قُورَاءُ كَالْقَمَرِ

إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَنَدَّاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ

فالشاعر يصف الرقاقة وهي من عجيب فيوضح لنا الشكل الذي تتخذه، ثم تحولها من كرة إلى قوراء كالقمر، إلى دائرة كما هو الحال عندما ترمي حجرة في صفحة ماءٍ، وهذا هو "التشبيه الغريب والنادر" عند الشاعر. ونجد من التشبيهات التي استعملها ابن الرومي "التشبيه الضمني"، وهو الذي يفهم من خلال سياق الكلام ومضمونه، فلا تذكر فيه عناصر التشبيه، وإنما تحتاج إلى فكر وطول نظر في الوقوف عليها، لذلك كانت من التشبيهات البليغة.⁴⁷ وفي هذا لسياق يقول ابن الرومي:⁴⁸

فِي رَوْضَةٍ شَتْوِيَّةٍ رَضِعْتُ دَرَرَ الْحَيَا حَلْبًا عَلَى حَلَبِ

فهو من خلال هذا البيت أراد أن يشبه ما يسقط من المطر باللبن الذي ينزل من الضرع، فهو لم يذكر اللبن، وإنما ترك ما يدل عليه "درر الحيا". ومن أنواع التشبيهات: "تشبيه التمثيل": «ويسمى التشبيه تمثيلاً إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد»⁴⁹ والهدف من هذا النوع هو

التوضيح وتقريب الصورة من المتلقي، ومثال ذلك ما قاله ابن الرومي في تشبيه الدُموع:⁵⁰

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعُ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

فالشاعر شبه الدَّموع (بقطر الندى)، ووجه الشبه بـ (الترجس على الورد) وذلك لغرض التوضيح، ونجد من تشبيهات الشاعر تمكّنه في تركيب الصّورة التشبيهية، فقد يتعدّد التشبيه عنده في حديثه عن مشبه واحد من مثل قوله في وصف عنب الرّازقي فقال:⁵¹

وَرَاذِقِي مَخْطَفِ الْخُصُورِ كَأَنَّهُ مَخْزَنُ الْبَلُورِ
لَمْ يُبْقِ مِنْهُ وَهَجَ الْحَرُورِ إِلَّا ضِيَاءَ فِي ظُرُوفِ نُورِ
حَتَّى أَتَانَا بِضُرُوعِ خُورِ مَمْلُوءةً مِنْ عَسَلِ مَخْصُورِ
وَالطَّلِّ مِثْلُ اللَّوْلُؤِ الْمُنْتَوِرِ مِنْ نَافِعٍ فِيهَا وَمِنْ مَجْدُورِ

فالشاعر ينظر إلى العنب ويشبهه بالبلّور، وهذا البلّور يتحوّل إلى نور يشتمل على ضياء وينتهي إلى تشبيهه العنب باللؤلؤة. وهناك تشبيهات أخرى من مثل التشبيه الصادق، والتشبيه المعلن والتشبيه العميق...، لكن تطرقنا في عنصر التشبيه إلى أهم أنواع التشبيه التي صادفتنا من خلال قراءتنا لشعر ابن الرومي، فالتشبيه يوضح المعاني ويجعلها قريبة من العقول والأذهان ويجعل الأساليب حسنة وجميلة، وتقبل عليها النفوس، وتصغي إليها الأذان، لذا كان من أهم دروس العربية وبلاغتها.⁵²

رابعا - الاستعارة:

وهي لفظ استعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع تحقق المعنى الأصلي، وهي نوع من التشبيه ولا تزيد عنه إلا بحذف المستعار له، وهي أبلغ من التشبيه لما فيها من مبالغة في أداء المعنى وتصويره⁵³، كما اختلف البلاغيون في تحديد أنواعها ولكن من خلال إلقاء النظرة على بعض الكتب البلاغية، وجدت أنّ الكثير من الدارسين يحصرها في وجوه ثلاثة، فإذا صرّح فيها بلفظ المشبه به تسمى استعارة "تصريحية"، وإذا حذف منها المشبه ورمز له بشيء من لوازمه، تسمى استعارة "مكنية" مشابهة، وأمّا إذا استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع حجة مانعة من إرادة معناه الأصلي، سميت "تمثيلية".⁵⁴ الاستعارة تكون في ظرف ومناسبة معينة « وإنّما تصح وتحسن على وجه من المناسبة، وطرف من الشبه والمقاربة. »⁵⁵، ولا بأس أن نستعرض بعض الأنواع التي وردت في شعراين الرومي و من ذلك:

أ- الاستعارة التصريحية: « هي إذا وجدت وصفا مشتركا بين ملزومين مختلفين في

الحقيقة، هو في أحدهما أقوى منه في الآخر، وأنت تريد إلحاق الأضعف بالأقوى على وجه

التسوية بينهما»⁵⁶، وتعتبر الاستعارة التصريحية أسهل وأوضح أنواعها، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ... (44)﴾⁵⁷.

ففي هذه الآية شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي، ثم استعير لفظ النداء في الماضي بالنداء في المستقبل ثم اشتق منه "نادى" بمعنى ينادي على سبيل الاستعارة التصريحية، غير أن نصيب شاعرنا في هذا النوع قليل مقارنة بالأنواع الأخرى، فيقول الشاعر مستعيراً السهم للتعبير عن أثر الشيب:

مَوْلَعًا مَوْزَعًا بِهَا الدَّهْرُ يَرْمِيهِ بِهَا بِسَهْمِ الْخَضَابِ غَيْرَ مُصِيبِ.

ب- الاستعارة المكنية: «أن تذكر المشبه، وتريد به المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصّبها، وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية»⁵⁹، ووردت أمثلة كثيرة في القرآن الكريم تدل على ذلك من مثل قوله على لسان زكرياء عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحاً (4)﴾⁶⁰، في هذه الآية ورد تشبيه الرأس بالوقود ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بـ"اشتعل" على سبيل الاستعارة المكنية، كما أن هناك نماذج كثيرة لابن الرومي منها قوله مستعيراً صورة الإنسان عند حديثه عن الدهر فيقول:

أَدَبَهُ الدَّهْرُ بِتَضَرُّفٍ فَأَحْسَنَ التَّأْدِيبِ إِذْ أَدَّبَا

كما استعار البستان لأيام الصيام ولعهد الشبيبة فقال:

سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّيَامِ وَإِنْ مَضَتْ الَّذِي مَهْوَى مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ

وقوله كذلك:

سَقَى عَهْدَ الشَّيْبَةِ كُلُّ غَيْثٍ أَغْرَ مُجْلَجِلٍ دَانِي الرَّبَابِ

ويقول الشاعر في تصوير الموت بالإنسان:

تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَبِيئِي فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَأَسِطَةَ الْعِفْدِ؟

فالشاعر من خلال هذا البيت يصور الموت إنساناً شريفاً يختار ضحاياه وهذا إحياء على قسوة

الموت التي أصابت ابنه الأوسط، ومن تشبيهات ابن الرومي تشبيهه للورد بفتاة فيقول في ذلك:

خَجَلَتْ خُدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ

فالشاعر يشبه الورد بفتاة حسناء أحمّرت حدودها خجلاً، ذكر المشبه وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من خصائصه وهو (حدود)، وهذه استعارة مكنية بأسلوب التشخيص.

ج - الاستعارة التمثيلية: «هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي»⁶⁶، وعلى هذا النحو وردت أمثلة كثيرة في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)﴾.

ومن الاستعارات التمثيلية التي استعملها ابن الرومي في هذا النوع وهو يشبه حسن العمل بحسن الموقع قوله:⁶⁷

حُسْنُ عِلْمِي إِذْ ذَاكَ بِالْحَسَنِ الْمَوْقِعِ مِمَّا يُرْوِي الْقُلُوبَ الظَّمَاءَ

وهكذا ترسم الصور البيانية بخصائصها وميزاتها عالماً خاصاً، راق أنصار القديم لاهتمامهم بالكلاسيكية وأساليبها، وأعجب بها محبّي التجديد، وذلك لخصائصه الفنية الواسعة الآفاق بثقافتها، وإطلاعها وهو من خلال هذه الصور عن حقيقة الوجود الممتزج بنعيم الإنسان وشقائه، فعبر الشاعر عن واقع البشر عبر حقبة زمنية لا ينتهي أمدّها بخلود شعره.⁶⁸

الهوامش:

- ¹ - "ينظر" سعد الدين التافازاني، مختصر السعد، شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد المندائي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2003، ص323.
- ² - ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القسم الأول، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة مصر، ص84.
- ³ - ابن الرومي: الديوان، ت: أحمد حسن بسج، ج1، ص400.
- ⁴ - "ينظر" جمال ولد خليل، ابن الرومي وفاجعة فقدان الولد، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد 172، ديسمبر 2011.
- ⁵ - ابن الرومي: الديوان، ج1، ص34.
- ⁶ - المصدر نفسه، ج1، ص340.
- ⁷ - المصدر نفسه، ج1، ص106.
- ⁸ - المصدر نفسه، ج1، ص232.
- ⁹ - المصدر نفسه، ج1، ص354.
- ¹⁰ - المصدر نفسه، ج1، ص235.

- ¹¹ - سورة الذاريات، الآية: 50.
- ¹² - ابن الرومي: الديوان ، ج 1، ص 19.
- ¹³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 21.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 31.
- ¹⁵ - سورة الشعراء، الآية: (224....225).
- ¹⁶ - السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط 1، 1983، م، ص 365.
- ¹⁷ - ابن الرومي: الديوان، ج 1، ص 199.
- ¹⁸ - المصدر نفسه، ج 1، ص 150.
- ¹⁹ - المصدر نفسه ، ج 1، ص 80.
- ²⁰ - ديوان ابن الرومي، ت: أحمد حسن بسج ، ج 1، ص 47.
- ²¹ - المصدر نفسه ، ج 1، ص 152.
- ²² - المصدر نفسه، ج 1، ص 203.
- ²³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 94.
- ²⁴ - "ينظر" أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 2006، م، ص 149.
- ²⁵ - "ينظر" محمود درابسة، ابن أبي العون وكتابه التشبيهات، طبعة: 2003، ص (23-24).
- ²⁶ - ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تج: عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط 1، 2001، م، ج 2، ص 237.
- ²⁷ - "ينظر" علي الجارم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة مصر، 1999، م، ص 20.
- ²⁸ - ابن الرومي: الديوان ، ج 1، ص 496.
- ²⁹ - "ينظر" ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج 2، ص 236-237.
- ³⁰ - ابن الرومي: الديوان ، ج 2، ص 297.
- ³¹ - "ينظر" علي الجارم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ص 20.
- ³² - ابن الرومي: الديوان ، ج 1، ص 290.
- ³³ - المصدر نفسه، ج 2، ص 399.
- ³⁴ - "ينظر" أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 2006، م، ص 150.
- ³⁵ - ابن الرومي: الديوان، ج 2، ص 439.
- ³⁶ - "ينظر" علي الجارم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ص 62.
- ³⁷ - ابن الرومي: الديوان، ج 1، ص 176.

- 38 - المصدر نفسه، ج 1، ص 33.
- 39 - المصدر نفسه، ج 1، ص 132.
- 40 - المصدر نفسه، ج 1، ص 212.
- 41 - "ينظر" علي الجارم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ص 25.
- 42 - ابن الرومي: الديوان، ج 2، ص 64.
- 43 - المصدر نفسه، ج 1، ص 412.
- 44 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: أبو فهد محمود محمد شاكر، الدار المدني، جدة السعودية، طبعة 1991م، ص 187.
- 45 - ابن الرومي: الديوان، ج 2، ص 320.
- 46 - المصدر نفسه، ج 2، ص 146.
- 47 - ينظر: أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 154.
- 48 - ابن الرومي: الديوان، ج 1، ص 86.
- 49 - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة في المعاني والبديع، ص 35.
- 50 - ابن الرومي: الديوان، ج 1، ص 496.
- 51 - المصدر نفسه، ج 2، ص 63.
- 52 - "ينظر" أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 156.
- 53 - "ينظر" محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت لبنان، ط 1، 1992م، ص 152.
- 54 - "ينظر" علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة في المعاني والبديع، ص (81، 90).
- 55 - عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد بجاوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط 1، 2006م، ص 356.
- 56 - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 380.
- 57 - سورة الأعراف، الآية 44.
- 58 - ابن الرومي: الديوان، ج 1، ص 79.
- 59 - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 385.
- 60 - سورة مريم، الآية: 4.
- 61 - ابن الرومي: الديوان، ج 1، ص 152.
- 62 - المصدر نفسه، ج 1، ص 158.
- 63 - المصدر نفسه، ج 1، ص 167.
- 64 - المصدر نفسه، ج 1، ص 400.
- 65 - المصدر نفسه، ج 1، ص 412.

⁶⁶ - محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت

لبنان، ط1، 1992م، ص153.

⁶⁷ - ابن الرومي: الديوان، ج1، ص38.

⁶⁸ - "ينظر" عبد المجيد الحر، ابن الرومي عصره حياته نفسيته فنّه من خلال شعره، ص233.